نظام التربية والتعليم بانجلترا (١)

والعناية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده

للأستاذ محمد عطية الابراشى

المفتش بوزارة المعارف

يجب أن يعنى نظام التربية بالنظر فى أخلاق الشعب وتقاليده، وفى الصفات السائدة بين الأمة، وألا يكون ضد العادات القومية. كل هذه الأمور قد لوحظت فى التعليم بانجلترا؛ فان الصفات والأخلاق التى تعرف بها بين الأجناس البشرية معروفة منذ أجيال، متأصلة فيها كل التأصل. يقول «بيتر ساندیفرد»: «الرجل الانكليزى مولع بالمنافسة، يحب من صميم فؤاده الرحلات والسياحات. ولا يستطيع احد الاستقرار فى انجلترا إلا من كان يميل الى المنافسة، وإن هذا الميل الى حب التنافس لا يظهر للناظر العادى، لأنه مغطى بطبقة كثيفة من الهدوء العقلى.» والرجل الانجليزى يمقت النظريات والتفكير فى النظريات، ويحب أن يقبض على الأمور العملية فى الحياة، ويحلها وهو سائر فى عمله. ويقول «بيتر ساند يفرد» أيضاً: «إن الرجل الانكليزى يُرى هادئاً، وهو فى حاجة الى قوة الخيال، ومن الصعب أن تؤثر فيه، فهو كالفحم الحجرى الصلب يتقد ببطء، ولكن حينما يتقد يخترق الى النهاية.» ولدى الرجل الانجليزى قوة كبيرة على كتمان شعوره، ويمكنه أن يتملك نفسه، وهو شديد المحافظة على القديم، يحب الحرية الشخصية فوق كل شىء، ولقد قاتل فى سبيل تلك الحرية أكثر من ألف سنة؛ ويقول «ساندیفرد» فى موضع آخر: «الرجل الانجليزى هادىء من الجهة العقلية، ولديه حب عميق للحرية، ولقد كانت هاتان الصفتان سبباً فى اتخاذه سياسة البطء، لا فى السياسة فحسب، بل فى التعليم كذلك.» وهو منعزل بطبيعته، يحب العزلة والوحدة، لا يحادثك إلا إذا تعارف بك. وقد يكون هذا الانعزال ناشئاً عن الحياء والخجل، وإذا حادثك فلا تخرج محادثته فى الغالب عن الجو، والجو لحسن الحظ كثير التغير والانقلاب بانجلترا، فمن اعتدال فى الطقس الى ضباب أو مطر، أو برودة، أو عاصفة أو رعد وبرق. وإذا زالت الكلفة وذهب الخجل تحادث معك فى أى موضوع كالخيالة والتمثيل، والألعاب الرياضية، والموضوعات الأدبية والاجتماعية.... يتجنب الأمور الشخصية؛ فلا يسألك عن مقدار ما يمنحك أبوك فى الشهر، ولا عن مقدار ما تنفقه أو تدفعه للسكنى أسبوعياً - كما يسأل الفضوليون حينما يرونك أو يعرفونك أول مرة. ويميل الانجليزى دائما الى التحفظ فى الجواب، فلا يجيب إجابة الجازم المتحقق، ولكنه يجعل للشك دخلاً فى كل ما يقوله، ويجيب دائما بكلمة: «أظن، أو ربما»، بعكس الرجل الفرنسى فانه يميل كثيراً الى الجزم واليقين

والانجليز معروفون بحبهم للمحافظة على القديم. وفى انجلترا تندر العجلة فى تنفيذ نظرية من النظريات، أو مشروع من المشروعات فى التربية والتعليم؛ فبينما تحاول الولايات المتحدة بأمريكا تجربة طائفة كبيرة من طرق التعليم والنظريات الحديثة - وقد لا توافق على شىء منها بعد التجربة وعدم الاستحسان - تجد انجلترا فى هذه الحال مثلاً فى دور المناقشة والمناظرة فى طريقة واحدة من هذه الطرق؛ لأن انجلترا تخاف الخسارة وضياع الوقت، أما الولايات المتحدة فلا تبالى بما تنفقه فى سبيل البحث والتجربة، ولذا تجدها اليوم تقود العالم فى العلم والاختراع والصناعة، ولقد ساعدها غناها على هذا التقدم والأقدام، فالمحافظة على القديم فى انجلترا لها فوائد، ولكن يجب ألا ننسى أن لها أيضاً كثيراً من المضار، فانجلترا تميل الى الوقوف عند حدها، وهى بطيئة فى الاصلاح؛ لأنها لا تستفيد فى الحال مما يقدمه لها المفكرون، وما يظهره المصلحون من أبنائها، ولا تشجع البحاثين والمخترعين تشجيع الولايات المتحدة لهم. وإن ولع انجلترا بالمحافظة على ما لديها يظهر جلياً فى القوانين المختلفة للتربية التى وافق عليها مجلس النواب الانجليزى؛ فلا تجد مطلقاً حذف قانون من القوانين برمته واستبداله بقانون آخر، بل تجد أن كل قانون هو تعديل للقانون السابق، للتوفيق بينه وبين الرأى الجديد الذى يراد إدخاله، ولا يشك أحد فى أن التعليم بانجلترا يستفيد من أن قوانينها فى التربية ثابتة.

ومع ذلك قد حدث تغيير فى التعليم بانجلترا، فمنذ سنة ١٩٠٠ نرى المحافظة على القديم أقل منها فى الزمن السابق، وفى الحق إن التغيرات الحديثة بانجلترا كثيرة وظاهرة لمن عرفها من قبل ورآها اليوم. ولا يشعر من الانجليز بالفائدة الكبيرة من هذا التغيير إلا قليل منهم، وكل ما تعرفه الأكثرية هو أن هناك

(١) من كتاب «نظام التعليم فى انجلترا» تحت الطبع

شيئاً يجرى فى عالم التربية ، وأن الأمور تتغير بسرعة . وهم يشعرون بالحيرة فى الابتداء وهم سكوت لا يتكلمون . ولا ننكر أن النزاع بين المحافظين والمجددين دائم لا ينقطع ، ولو أنه نزاع صامت

ويظهر الميل الفطرى لحرية الفكر ، واستقلال الرأى فى أحوال كثيرة فى التعليم بانجلترا . وإن قوانين التربية مفتوحة للتغيير البطىء ، فحينما تظهر التجارب صواب الفكرة الجديدة ، ويرى معظم الناس فائدتها ، يتغلب الانجليز على كراهتهم لها ؛ فالحرية الشخصية تخضع دائماً للمجتمع ، حباً فى المصلحة العامة ، فمثلاً كان الذهاب الى المدرسة اختيارياً يذهب اليها من يشاء من التلاميذ ، لكن لما تبين أن من المحال تعميم التعليم إذا ظل اختيارياً ، غيّر هذا النظام وجعل إجبارياً . وكان التفتيش الطبى على المدارس والتلاميذ اختيارياً ، ثم غير وجعل إلزامياً ، وكان إعداد المدرسين اختيارياً أيضاً ، ثم ظهر أن المدرس لا يستطيع أن يقوم بمهنته كما ينبغى إلا إذا نال قسطا من التربية وعرف طرق تدريس المواد ، فجعل إعداد المدرسين إجبارياً ، وعُدّ من الواجبات لرقى التعليم . وهناك عشرات الأمثلة لأمور كانت اختيارية بانجلترا ، ثم أصبحت إجبارية يطالب بها القانون

وإن انجلترا — وإن كانت أمة عملية لا تدين بالنظريات — لا تمتنع من أن تعمل بما يمكن تنفيذه منها . ولا ينكر أحد أن النظرية التى لا يمكن تنفيذها لا فائدة منها ، ولا خير فى العلم إذا لم يصحبه العمل . لذا كانت طريقة التعليم فى انجلترا طريقة عملية ، تتفق هى والأمور العملية التى تحتاج اليها ، تتفق مع حاجات الشعب وحياته . ولا يمكن أن تفهم هذه الطريقة منفردة عن التاريخ القومى لهذه الأمة ، لأنها نتيجة الخلق القومى والحالة الشعبية . والمهم لدى الانكليز الوصول الى العمل بأى طريقة كانت من غير عناء كبير أو بحث طويل فى النظريات ، وتاريخ التعليم الانجليزى مملوء بالأمثلة الدالة على حب العمل ، وعدم الاكتراث للنظريات . فمدارس انجلترا إذن مدارس عملية ذات قوة كبيرة ، وتأثير عظيم فى تهذيب الأخلاق وتقويمها ، وإعداد رجال مخلصين عمليين يثقون بأنفسهم ، ويشعرون بما يجب عليهم لغيرهم ، ولا يفرون من تحمل مسئولية أى عمل يقومون به . هى مدارس تربى فى كل طفل الثقة بالنفس ، فيقول لك دائما : « سأحاول » إذا سألته : هل يستطيع أن يقوم بعمل من الأعمال ؟

محمد عطية الابراشى

أين كانوا يوم كنا ؟ . . .

للأستاذ كرم ملحم كرم

صاحب مجلة « العاصفة » البيروتية

لا نجد حولنا غير المعجبين بالأدب الأفرنجى . ومن حق هؤلاء أن يعجبوا بهذا الأدب الكثير الألوان ، الجديد ، الطرىّ ، السائر والحضارة فى طريق واحد لا تبتعد عنه ولا يبتعد عنها . من حقهم أن يعجبوا بأدب يوفر لهم ما يحتاجون اليه من غذاء روحى أعدّه لهم طهاة عرفوا ميولهم فسايروها ، ونفحوها بما تستطيب من علم ، وبما ترتاح له من ابتكار مستساغ تهضمه المعد والعقول . فالأدب الأفرنجى فى القرن العشرين ينضح بعصير يجد فيه كل طالب ما تشتهيه نفسه . فليس له إلا أن يختار . فان أمامه من مختلف الأطعمة ، بل أمامه الأطعمة على اطلاقها . فاذا حنّ إلى التاريخ وجد التاريخ ، وإذا حن الى الشعر لمس من هذه البضاعة ما يروم ، وإذا شغف بالرواية وقع منها على ألوان وألوان كبيض العيد ، من أحمر وأخضر وأصفر وبنفسجى وبرتقالىّ

فما عليه ليدرك مبتغاه إلا أن يحرك شفتيه . وهذا الخصب فى الأدب الأفرنجى يعود إلى أمرين : الأول أن الغرب اليوم فى عز ومنعة ، فهو المسيطر الحاكم المستبد . والآخر أن فيه شعباً يقرأ ويقدر مؤلفيه . فاذا أجهد الكاتب ذهنه وكد قريحته فلن يضيع وقته فى العبث ، فلابد له أن يستفيد ، وأن يضمن لنفسه الغذاء والقوت

وسرّ نجاح الأدب فى نجاح الدولة التى تحميه ، فمن المحال أن ينشط أدب ويُفلق من عقاله ويزدهر وينمو إن لم تكن هناك دولة يعتمد عليها ويستند اليها . فالأدب العاطل من سلطة تعضده وتؤيده أشبه بالرجل التائه الشريد ، بل أشبه باليتيم ، يقضى العمر وحيداً ينبذه الكون ، وينفر منه الناس ، فيعيش فى اكتداد واضطراب حتى تدق ساعته الأخيرة فيلفظ الروح

ثم إن هذا الأدب بحاجة إلى من يغذيه بالمال ليعيش ، فالأديب ككل ذى صناعة إن لم تمدّه بما يوفر له طعامه ، يعجز